

الفصل الثالث

موقف الإسلام من الغرب

obeikandi.com

## موقف الإسلام من الغرب

مقدمة:

إن الإسلام دين عالمي، ورسالته موجهة إلى المجتمعات البشرية الأخرى، وإنه يحرص على أن يؤمن كل الناس بالحقيقة ويدخلوا في السلم كافة. وإن ثقافة الإسلام وحضارته الخاصة به قد شاعت بين الشعوب الأخرى، وكانت لها علاقات مع الثقافات الأخرى. وإن حضارة الإسلام التي تعيش منذ القرون الثلاثة الأخيرة - فترة الجمود والتأخر - قادرة على استعادة حيويتها لتقوم بحملاتها من جديد. وإن المسلمين وقادتهم مسؤولون بالدرجة الأولى في هذا المجال وبإمكانية الاستفادة من وسائل العصر العلمي في هذا المجال.

" وإن روح الإسلام العامرة بالقيم والأخلاق والتسامح والتعاون والوفاء الذي قدمه الدين للناس وهداهم إليه بما في ذلك الأمان الذي قدمه الإسلام والمسلمون لأبناء الأديان والملل الأخرى وأحاطهم به. في ذلك التعايش الذي تعايش به الإسلام بمنظومه الرقيقة الخلابة مع كل الأديان والحضارات "

إن المسلم الحامل للشمال الإسلامية هو رسالة الإسلام إلى الدنيا في كل مكان، وعلى امتداد الزمان .. هو ذلك الذي يفهم ويدرك أن الإسلام رسالة عالمية - للبشر جميعًا - لأنه دين جاذب جامع .. يجب ولا ينفرد.

وإن مقومات المجد الحقيقي كانت في روح الإسلام، وإحساس المسلم وشعوره بمجد الإسلام كدين باقٍ إلى ما شاء الله، بيد أن هذا المجد لم يكن ابتعادا بالمسلمين عن هداية الدين الذي آمنوا بأنه دين للعالمين، وأن انفتاحه على العالم انفتاح دعوة وانتشار. رسالة أراد بها الله تبارك وتعالى هداية الدنيا، وجعل للمسلمين واجب نشرها ورعايتها وضمان اتساعها ليطمئن في واحتها المسلم وغير المسلم، وينال الأمان فيها كل من يفىء إلى ظلها... ولم يكن مرجع المجد إذن لهذه الحضارة الأشد عجبًا، بل إن القرآن الكريم نبى المسلمين عن طلب المجد أو طلب النفوذ أو الاستعلاء، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَجَةُ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَنَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الفصص].

ونحن - العالم الإسلامي - نعاني اليوم كثيرًا من تشويه صورة الإسلام في الغرب وكما يفهمها صناع القرار السياسي والاقتصادي والعسكري هناك، لأن هذه الصورة المشوهة هي التي جعلتهم يتهمون الإسلام والمسلمين بالعنف وإثارة القلاقل والحروب، ومعاداة الحضارة الغربية رمز التقدم والتنمية، ومعاداة الأخذ بالعلوم الحديثة ومعاداة المنهجية العلمية في التفكير، لذا كان لابد من طرح مجموعة أساليب أو آليات تنبثق عن سياسات مدروسة بشكل علمي للرد - لتصحيح - صورة الإسلام في الغرب.

ما الإسلام؟

كان الإسلام - ولا يزال - هدفًا لألوان كثيرة من العداء الديني والسياسي، ولم يتورع أعداؤه عن أن يستخدموا ضده كل الوسائل المادية والمعنوية، بهدف القضاء عليه تمامًا، أو الحد من انتشاره الذي يستقر دائمًا في قلوب الناس.

هاجمه المشركون في مكة، واليهود في المدينة، وعلماؤ النصارى في دمشق وبغداد، وكثير من المستشرقين في الغرب، وكان من أهم دوافعهم لذلك أنه اجتذب إليه العديد من الأتباع الذين وجدوا فيه راحة لنفوسهم، وإقناعًا لعقولهم، ومنهجًا مستقيمًا لحياتهم<sup>(١)</sup>.

فالإسلام يوصى بأن تتم الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يجادل المسلمون أهل الكتاب (اليهود والنصارى) إلا بالتي هي أحسن، ولا يجبر أحدًا على اعتناقه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فالإسلام دين لا يهاجم أحدًا، ولكنه قادر على الدفاع عن نفسه، وفي الآونة الأخيرة تعرض الإسلام لحملة شرسة، قوامها أنه العدو الجديد الذي ينبغي محاربتة، بعد أن تم انهيار الاتحاد السوفيتي "الشيوعية"، واستغل المغرضون في ذلك بعض التصرفات الشاذة لقلّة من أفراد المسلمين، محاولين تعميمها على حوالى مليار و١٢٥ مليون نسمة من المسلمين يعيشون في شتى أنحاء العالم.

والدين في اللغة: الطاعة والجزاء، وفي الاصطلاح: الطاعة والدينونة لله بالانقياد والخضوع لشريعته، والإسلام هو دين الله الذي أرسل به جميع رسله وأنبيائه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ لذا لا يقبل الله من أحد من عباده دينًا

(١) محمد شفيق وآخرون: الإسلام بين الحقيقة والادعاء "رد على أهم الافتراءات المثارّة ضد الإسلام"، الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٥.

غيره، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران] ، فكلمة الإسلام بمعناها الاصطلاحى للدين تحتوى على الأديان السماوية جميعها التى أنزلها الله على أنبيائه من آدم إلى محمد ﷺ، والإسلام ليس خاصا بالدين الذى قام بتبليغه محمد ﷺ فقط ، بل هو اسم مشترك لكل الأديان السماوية، فالدين الإسلامى فى جوهره واحد يهدف لسعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة، كما جاء ذلك فى القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] . وقد ورد عن دين إبراهيم قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران] ، وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف] . وكان خطاب نوح عليه السلام لقومه: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس] .

وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بالاسلام فلبى مسرعاً، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة] . والأنبياء الذين كانوا يحكمون بالتوراة كانوا مسلمين، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ نَحْكُمُ بِهَا النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وسمى دين الله إسلاماً؛ لأنه استسلام وانقياد وخضوع لله ، وفى هذا الإطار أمر الله رسوله محمداً ﷺ بمثل ما أمر به الأنبياء السابقون، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الانعام] .

والإسلام دين الكون كله، فالكون كله خاضع ومستسلم لله ، وفى ذلك يقول تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران] . ويمتاز الإنسان والجان عن بقية المخلوقات أن إسلامهم لا يكون إلا عن طواعية واختيار، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ؕ أَسْلَمْتُمْ ؕ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ

أَهْتَدُوا ﴿ [آل عمران : ٢٠] ، أما بقية الكون فهو مسخر مسير .

وقد أصبح الإسلام علمًا على الدين الخاتم الذي نزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ ؛ لأنه الدين الصحيح الباقي الذي ارتضاه الله للبشرية ، وأمر الناس جميعًا باتباعه والانقياد إليه ، دون غيره . والدين الإسلامي المنزل على محمد ﷺ دين شامل كامل في عقيدته وشريعته ، وهو يقوم على الحق والعدل ، وتنشق منه قواعد عظيمة وأسس قوية سليمة ، وأنظمة تشمل الحياة الإنسانية بأسرها ، وكل ذلك يشكل وحدة واحدة مترابطة فيما بينها ، لا يمكن أن تسمى بغير الإسلام<sup>(١)</sup> .

والإسلام هو دين الحوار والإقناع والافتناع ، لأسباب كثيرة ، أولها : أنه يحترم العقل الإنساني ويحث على استخدامه ، فنجد ذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة] ، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [الروم : ٨] ، ﴿ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم] . وفي المقابل ينكر الله - سبحانه وتعالى - على أقوام لا يستخدمون عقولهم ، فيقول تعالى : ﴿ وَجَعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [يونس] ، بل يضعهم في درجة دون مستوى الحيوانات العجماء ، فيقول تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف] ،

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، في الدلالة على عمق مبدأ الحوار والتعايش في مفهوم الإسلام .

الإسلام والعلمانية :

إن الإسلام يربط بين الدنيا والآخرة ، فيجعل الأولى مزرعة الثانية ، فالإسلام - إن صح التعبير - كطير يخلق بجناحين : جناح يضرب به لتحقيق الاستخلاف في الدنيا ، وجناح تعبدى يحقق به ثواب الآخرة . بينما العلمانية طائر بجناح واحد ، بل جناح مكسور بلا ريش ، فالإسلام يستوعب العلمانية ، لكن العلمانية لا تستوعب الإسلام ، ومن المغالطات المزرية مايقوله البعض من أن الدين والدنيا طريقان منفصلان ، والاشتغال بأحدهما خراب للآخر ، قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ

(١) عمر سليمان الأشقر : نحو ثقافة إسلامية أصيلة ص ٢٠٢ ، مرجع سابق .

نَصِيْبِكَ مِنْ أَلْدُنْيَا ﴿ [القصص : ٧٧]، فالعلمانية تقطع صلة الإنسان بالآخرة، وترجع كلام الخلق على الخالق، والقانون الوضعي على القانون الإلهي؛ ولذلك فإنها لم تحقق الهدف الدنيوي بتوفير جنة الدنيا، والدليل على ذلك: فشل النظريتين الماديتين العلمائيتين الاشتراكية، والرأسمالية، فالاشتراكية خلقت مجتمعات محرومة وفقيرة بائسة كما حدث في روسيا. والرأسمالية لم يجن منها المجتمع الرأسمالي الغربي إلا مزيداً من الفراغ الروحي والفساد الأسرى والانحطاط الاجتماعي والأخلاقي.

### بين العولمة والعالمية:

وربما كان معنى العولمة في ظاهره يقترب من معنى (العالمية) الذي جاء به الإسلام، وأكدته القرآن في سورة المكية مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ [الأنبياء]، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٦﴾ [ص]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١٠١﴾ [الفرقان].

ولكن هناك في الواقع فرق كبير بين مضمون (العالمية) الذي جاء به الإسلام، ومضمون (العولمة) الذي يدعو إليه اليوم الغرب عامة، وأمريكا خاصة.

فالعالمية في الإسلام تقوم على أساس تكريم بني آدم جميعاً ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴿ [الإسراء : ٧٠] . فقد استخلفهم الله في الأرض، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه. وكذلك على أساس المساواة بين الناس في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسؤولية، وأنهم جميعاً شركاء في العبودية لله تعالى، كما قال الرسول ﷺ : « يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا أحمري على أسود، ولا أسود على أحمري، إلا بالتقوى والعمل الصالح»<sup>(١)</sup>.

وهو بهذا يؤكد ما قرره القرآن في خطابه للناس، كل الناس: ﴿ يَتَأَيُّبُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣٩﴾ [الحجرات].

(١) على بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد، ج ٣، ص ٢٦٦، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧.

أما (العولمة) فالذي يظهر لنا من دعوتها اليوم: أنها فرض هيمنة سياسية واقتصادية وثقافية واجتماعية من الولايات المتحدة الأمريكية على العالم، وخصوصا عالم الشرق والعالم الثالث، وبالأخص العالم الإسلامي.

إنها لا تعني معاملة الأخ لأخيه، كما يريد الإسلام، بل ولا معاملة الند للند، كما يريد الأحرار والشرفاء في كل العالم، بل تعني معاملة السادة للعبيد، والعالمقة للأقزام، والمستكبرين للمستضعفين<sup>(١)</sup>.

فالعولمة: تعني تغريب العالم أو بعبارة أخرى: (أمركة العالم)، إنها اسم مذهب للاستعمار الجديد الذي خلع أرديته القديمة، وترك أساليبه القديمة، ليبارس عهدا جديدا من الهيمنة تحت مظلة هذا العنوان اللطيف: (العولمة).  
الإسلام والحضارة:

لقد غاب عن كثير من المبهورين بحضارة الغرب أن الحضارة الإسلامية على الرغم مما أصابها، لا تزال قائمة تناطح كل الحضارات. إن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر لا يشك لحظة واحدة في أن الرعيل الأول - وهم الرسول ﷺ وأصحابه - هم أهل الحضارة والمدنية في الأوائل والأواخر، وهم لم يشيدوا ناطحات السحاب، ولم يقيموا القلاع والحصون، ولم يخترعوا ما اخترعه غيرهم، ولكنهم هم الأرقى والأعلى والأفضل في الحضارة والمدنية، ولا عجب في أن يسمى الرسول ﷺ البلدة المتواضعة في بيوتها وشوارعها ومسجدها ومزارعها بالمدينة بعد أن كانت تسمى يثرب، كأنها هي المدينة والحضارة<sup>(٢)</sup>. وفي هذا إشارة إلى أن المدينة والحضارة ليست بالمباني والقصور والمخترعات، لكن بالدين الحق الذي يقيم الحق ويقول الحق ويدعو إلى الحق ودار الحق.

فالثقافة تعد قاعدة الحضارة وأصلها والحاكمة لغايتها، فإذا كانت ثقافة الأمة ثقافة صالحة في معتقداتها وأخلاقها وتشريعها وقيمتها وموازينها، كانت حضارتها حضارة سوية صالحة مستقيمة. فهناك حضارات سوية صالحة وحضارات شركية كفرية ضالة، وهذه الحضارات حدثنا الله سبحانه وتعالى عنها في القرآن الكريم.

(١) يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، مرجع سابق: ص ١٣.

(٢) عمر سليمان الأشقر: مرجع سابق: ص ٣١.

فمن الحضارات السوية الصالحة "حضارة ذى القرنين" الذى حدثنا الله عنها فى سورة الكهف، فقد أخبرنا الله أنه مكن له فى الأرض وآتاه من كل شىء سبباً ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ١٨]. والتمكين يحتاج الى المعرفة العلمية الواسعة التى تبنى بها القوة المادية ويتعرف بها على التحرك فى التجوال والأسفار، وبالعلم تخترق الصحارى، وتجتاز الجبال، وتركب البحار، وقد نجح ذو القرنين هو وجيشه فى الوصول إلى أقصى الغرب وأقصى الشرق، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف: ٨٦]، ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ ﴾ [الكهف: ٩٠]. وقد حدثنا القرآن كيف استعمل ذو القرنين ما آتاه الله من قوة فى إقرار العدل وعمارة الأرض، ورد الظلم ومحاربة الفساد، وهذا واضح فى سورة الكهف، الآيات [٨٦-٨٨].

ومن الحضارات الخيرة، الحضارة التى بناها سليمان عليه السلام، فقد دعا الله أن يؤتاه ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [ص: ٣٥]. وأوتى سؤله، لقد سخر الله له الجن والإنس والطير، وعلم منظر الطير، وسخرت له الريح تحمله وجيشه رخاء حيث أراد، فاستعمل ذلك كله فى الدعوة إلى الإسلام، وإقرار الحق، ومحاربة الباطل.

وقد أثمرت دعوته، فقد دخل الإسلام فى قلب ملكة سبأ، ودنبل فى الإسلام قومها، بعد أن كانت تلك الآلهة الباطلة تصدهم عن الإيمان، قال تعالى: ﴿ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ [النمل: ٢٤]. ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُعَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٢٤].

وهناك حضارات شركية ضالة، تسخر علمها وما وصلت إليه من مخترعات لظلم الناس وقهرهم، والإفساد فى الأرض، ومن ذلك حضارة اليونان، الرومان، الفراعنة، الهنود، ولقد حدثنا الله عن تلك الحضارات التى حادت طريق الحق، فاستحقت ان تبيد وتهلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ طَغَوْا

فِي الْبَلَدِ ﴿١٠٠﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٠١﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٠٣﴾ [الفجر].

نعم عندما هيئت للمسلمين الإمكانيات والقدرات بنوا حضارة مادية عظيمة فاقت كل الحضارات، لأنها قامت على أصول قوية من الإيثار والتوجه إلى الحق، وعندما كان يزيع أهلها عن قواعد الحضارة الإسلامية كانت ترسل عليها العواصف الهوج لتدمر من تلك الحضارة البنيان كما وقع للأمويين والعباسيين وأهل الأندلس والعثمانيين، لتقوم مرة أخرى حضارة إسلامية جديدة على أصولها الصحيحة من الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

وبهذا الربط وعلى هذه الشمولية، قامت دولة الإسلام، وأشرقت شمس حضارتها على العالمين، وتراثها هو المصدر الأصلي لكثير من العلوم التي اقتبسها الأوروبيون وطوروها، ولأن الإنساق الغربي لا يفرق بين الإسلام والمسلمين. فالمسلمون هم المرأة التي تعكس صورة الإسلام، ومن المؤسف أن يعيش الإسلام غربته في ديار المسلمين وفاقد الشيء لا يعطيه.

#### منطلقات الإسلام للدعوة والعالمية:

الإسلام في نصوصه وفي مهجته وفي روحه دين هداية، التي هي رسالة الإسلام إلى الدنيا، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة]. والنبوة المحمدية نبوة هداية، والهادى اسم من أسماء الله الحسنى، بعث رسوله محمد ﷺ بالهداية، إذ يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة]. فإله يوصيه ليقول للناس: ﴿قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام].

فالرسول ﷺ لا يتطلع لمجد أو ملك أو جاه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

(١) عمر سليمان الأشقر: مرجع سابق، ص ٣١.

الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٦﴾ [الأنعام].

فالدعوة الإسلامية دعوة عالمية، جاءت لكل الناس، ولكل الشعوب وهى دعوة للإنسانية جمعاء، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأنبياء]. ويقول تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبا: ٢٨]، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

جاء الإسلام بعقيدة جامعة هدفها الإنسان، دون تفرقة بين إنسان وإنسان، وبين قوم وقوم، وبين جنس وجنس، يقول تعالى: ﴿ يَتَّيْبُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الحجرات]

والجنس البشرى جنس مكرم على كثير من خلق الله عز وجل، قال تعالى فى ذلك: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٦﴾ ﴾ [الإسراء].

وما لا شك فيه أن هذا التكريم استوعب نوعى الجنس البشرى، فالرجل مكرم باعتباره إنسانا، والمرأة مكرمة باعتبارها إنسان كذلك، ولقد كرم الله المرأة ولم يظلمها فيما تستحقه من حقوق ولم يحملها مالا تطيق؛ لأنه سبحانه وتعالى خالقها وهو أعلم بما يناسبها من حقوق وما يتوافق معها من واجبات، قال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الملك]، ففضية العدل والإنصاف مع المرأة ينبغى أن تكون متكاملة، فلا ينظر لها من جانب الحقوق فحسب بل يمتد النظر ليشمل جانب الالتزامات (الواجبات)، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان عبثا ليمتعه بمجموعة حقوق دون أن يطلب منه واجبات، فيقول تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

لذا فقد دخل على المسلمين فيما دخل عليهم من الغرب كثير من التشكيك بمواقف الإسلام الاجتماعية، وبخاصة نظرتة إلى المرأة فيه ومكانتها منه.

فقد أخذ كثير من الناس بذلك وظنوا بما يرون من شأن المرأة فى الغرب اليوم، أن المرأة

المسلمة لا تجدد في الإسلام حقوقها، ولا تظهر فيه بمكانتها من حيث هي هذا الكائن البشرى الذى يؤلف نصف المجتمع، ويشارك أعظم مشاركة في إقامته وتوجيهه<sup>(١)</sup>.

والإسلام لم ينزل إلى أمة محمد ﷺ فقط، ولا لقوم بخاصة أو لمكان بخاصة، وإنما اتجه إلى العالمين، إلى الإنسان حيث كان، لا أحد مختص بالدعوة والهداية دون أحد، ولا مجد لأحد على أحد... الإنسانية أسرة واحدة، مردها إلى أصل واحد<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام].

وكان انبعاث الرسول ﷺ منعطفًا تاريخيًا في حياة الناس جميعًا وتحولًا حضاريًا متميزًا في نهج حياتهم وتعاملهم، تحول الخطاب فيه من (قومية) الأديان ومحدودية مقاصدها - إذ كان الرسول ﷺ يبعث لقومه فقط - إلى عالمية الإسلام وشمولية وسعة دعوته وتكامل مقاصده، ومن عزلة المجتمعات البشرية وتضادها وتصارعها إلى وحدة الأسرة البشرية وتعاون مجتمعاتها، حيث سمع الناس لأول مرة في تاريخهم الإنسانى فكرة المجتمع الإنسانى الواحد<sup>(٣)</sup>. يقول الرسول ﷺ: «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب إلا لا فضل لعربى على أعجمى، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»<sup>(٤)</sup>.

والقرآن يخاطب المسلمين، فيقول لهم: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة].

وفي هداية الإسلام للدنيا، جعل العقل مع الضمير والوجدان منارا لهداية الإنسان حيث كان، وجعل العلم روح الإسلام ليقدم للإنسانية كلها حياة يلتئم فيها نبضها بلا

(١) بشير عبد البارى: نظرة الإسلام إلى المرأة، مقدم للمؤتمر العام السابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وعنوانه "إنسانية الحضارة الإسلامية"، ١٨-١١ ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ١٧-٢٠ أبريل ٢٠٠٥م، القاهرة، ص ٩٨٣.

(٢) محمد وجيه الصاوى: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣) محمد على الجوزو: الحضارة الإسلامية حضارة عالمية، مقدم للمؤتمر العام العاشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، بعنوان "الإسلام والقرن الحادى والعشرون"، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩، ص ٢٠٨.

(٤) أخرجه الميثمى في مجمع الزوائد، ٣/ ٣٦٦.

استعلاء في هذه الحضارة التثام المسيحي مع المسلم لعامة الحياة، فلم تتباه هداية الإسلام على غير المسلم، وفتحت للجميع فرصاً غير محدودة للعطاء للأسرة الإنسانية .. فبزغ في دوحه الإسلام نجوم لا يتمون إليه، أعطوا في مناخ عماده الإخاء والمحبة والتسامح والسلام.. يظل الجميع بلا تمييز ولا إستعلاء منظومة أخلاقية عنيت كل حبة من حياتها برعاية الآخر .. هذا الجانب (رعاية الغير) ملحوظ في كل سجايا الإسلام، كالعدل وانتواضع، والعفو، والسماح، والتعايش، والإحسان، والصفح، وكفالة اليتيم، والأسير، والمسكين، والتكافل، والإخلاص .. وغيرها، مثلها هو ملحوظ في النواهي التي حرمت وحظرت الظلم، وبخس الكيل والميزان، وكتمان الشهادة، وقول الزور وغير ذلك من المنكرات<sup>(١)</sup>. هذه الباقية من الأوامر والنواهي وجهت عنايتها للأغيار؛ لأنها في غايتها السامية تحفل بالآخر وترعاه وتصونه من أن يلحق به أذى أو مكروه، ومن ثم فالإسلام زرع في وجدان المسلمين هذا العطاء الواجب بلا من ولا أذى.

ولأول مرة تتلقى مسامعهم مبادئ وقيم النهج العالمي الواحد، الذي يدعوهم إلى الإيثار بالله الواحد، وإلى إقامة العدل بينهم، والتواد والتراحم في معاملاتهم، وينهاهم عن الفحشاء والمنكر وتعاطى الخبائث، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل].

إنها دعوة عالمية بكل معنى الكلمة، تهدم حواجز التعصب والعنصرية لأنها تتوجه بالعبادة إلى إله واحد، هو مصدر الرسالات السماوية كلها، لا فرق بين رسول ورسول ونبى ونبى؛ لأنهم جميعاً يدينون بعقيدة واحدة.

فالإسلام يدعو إلى التسامى الخلقى عند التصدى للدعوة إلى الله ويضرب المثل الأعلى لذلك بالرسول ﷺ، يقول الله عز وجل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران].

لكن هذه «العالمية الإسلامية» لاتعنى - في الرؤيا الإسلامية - انفراد الحضارة

(١) محمد وجيه الصاوي: مرجع سابق، ص ١٠٣.

الإسلامية بالعالم وإلغاءها للأخر الحضارى، بل إنها تعنى التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر، فى ظل التأكيد على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافى والأخلاقى فى الشعوب والأمم والقبائل وفى الألوان والأجناس والأعراق، وفى الألسنة واللغات - ومن ثم القوميات - وفى الشرائع والملل الدينية، وفى المناهج والمذاهب والثقافات والفلسفات والحضارات، أن كل هذا التنوع والتمايز والاختلاف هو القاعدة الطبيعية، والقانون التكوينى، والسنة الإلهية التى لا تبدل لها ولا تحوّل<sup>(١)</sup>. إن أية حضارة من الحضارات إنما تتميز عن غيرها بصممتها الثقافية، وإن أية ثقافة من الثقافات إنما تتميز عن غيرها برؤية إنسانها للكون، ولمكانة هذا الإنسان فى هذا الكون.

فالناس شعوب وقبائل: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ [الحجرات] ، والناس ألسنة ولغات وقوميات والوان وأجناس ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ۝﴾ [الروم] ، والناس يتنوعون إلى ديانات ومعتقدات ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝﴾ [آل عمران] ، والناس يتمايزون فى الشرائع والثقافات والحضارات ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا حَاً ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝﴾ [المائدة] ، والناس سعيهم شتى ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝﴾ [الليل] ، والتدافع والحراك والتسابق هو سبيل راب الصدع وتعديل الخلل وإعادة التوازن والميزان - الوسط .. العدل - إلى العلاقات بين الطبقات أو الأمم أو الحضارات، قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝﴾ [فصلت: ٣٤] ، ذلك المفهوم الإسلامى للعالمية: نزوع عالمى يرى التعدد والتنوع والتمايز والاختلاف فى القاعدة والقانون فى كل عوالم الخلق، ويؤمن أن التفاعل هو الوسط العدل بين «العزلة والانغلاق» وبين «التبعية والإلحاق» فتصبح الصورة الحضارية للعالم هى صورة «متدى الحضارات» الذى يكون

(١) محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعودة الغربية، مرجع سابق، ص ٣٨.

التكريم فيه لمطلق الإنسان<sup>(١)</sup>.

وقد رفع الإسلام من قيمة الإنسان ، ووضعه في مرتبة تفوق مرتبة الملائكة وجميع الكائنات الأخرى، وبين كيف أن الله عز وجل كرم الإنسان، ووهبه الحياة، وأسجد له الملائكة، وسخر له كل ما في الكون من مخلوقات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [فإذا سويتهُ ونفختُ فيه من رُوحِي فَقُوعُوا لَهُ سَاجِدِينَ] ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ] ﴿[ص].

وقد حرص الإسلام على تربية الضمير وتهذيبه وصقله... ووضع القواعد السلوكية التي ترتقى به وتجعله حارساً على أعمال الإنسان يوجهها إلى الخير ويرشدها إلى الصلاح. ولم يعرف الإسلام أى نوع من أنواع التعصب أو العنصرية طوال تاريخه الطويل، بل عاش في ظلّه أبناء الرسالات الأخرى، سواء كانوا مسيحيين أو يهوداً، وأبناء غير الرسالات، واستمتعوا بجميع الامتيازات التي يستمتع بها الإنسان المسلم، من حرية في العقيدة، وفي ممارسة التجارة والصناعة واحتلال وظائف الدولة، وحماية الدولة الإسلامية لحقوقهم كمواطنين دون تفرقة أو تمييز. وفي مثل هذا المناخ تتضاعف أهمية رسالة الأديان السماوية، وتتعاظم مسئولية المؤمنين في الدفع بالتعايش بين الأديان نحو الاتجاه الصحيح، عملاً بالتوجيه الرباني في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].

الإخوة الإنسانية إخوة شاملة تطوى الجميع في حناياها.. يقول القرآن الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

(١) محمد عبادة: بين العالمية الإسلامية والعمولة الغربية، مرجع سابق، ص ٤٠-٤١.

عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ<sup>١</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٠٠﴾ [الحجرات] ، وقد ساوى الإسلام في واحته بين الجميع، ولم يستبعد من المساواة أحدا من أهل الكتاب - أهل الذمة - الذين يقيمون في دار الإسلام ، هذه المساواة هي رسالة الإسلام إلى الدنيا وإلى الناس كافة، فمجد الإسلام هو هذا العالم الجديد الذى وضع أساسه وقيمه ومبادئه وأحكامه، واتسعت رقعته لتضم في ثناياه الأسرة الإنسانية بلا حواجز ولا عصبية ولا استعلاء، هذا العالم الجديد مهجته الرحمة والتراحم، فالإسلام نور وهداية والرسول ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنبياء] ، والرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنى، فعن صفة رحمته ينسب ربنا تبارك تعالى فيقول: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧] ، ويأمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ بإبلاغها إلى الناس، كل الناس: قال تعالى: ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الحجر].

الإسلام يدعو إلى الخير والمعروف لا إلى التميز والعلو في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران].

والإسلام يطلب العزة الحقيقية في التقوى لا في المجد الزائف، فمن لم تعزه التقوى فلا عز له الإسلام يطلب الرفعة، ويطلب القوة لكن كل ذلك بالحق ولأجل الحق هذا العالم الجديد لم يبنه الإسلام ويضع أساسه وكفى، وإنما أعطى مفتاحه إلى الدنيا ليلج إليه من يريد هداية الله وصدق التوجه إليه وسلامة الوجدان والضمير<sup>(١)</sup>.

العالم الجديد الذى وضع الإسلام مفتاحه أمام الناس هو عالم عماده الهداية والتوحيد والسباحة ومفتاحه الإصرار على الوفاء والإصرار على الأمان الذى يجبر به المسلم غير المسلم، ويبقى وفيما به ملتزما بمقتضياته إلى أن يبلغ غير المسلم مأمته ظل المسلمون على ذلك وصاحبهم الوفاء والأمان في مراحل تكوين إمبراطوريتهم وازدهار حضارتهم، هذه الحضارة التى أقامت بمنظومتها الرفيعة مجداً حقيقاً للإنسانية، وبقي المسلمون على ذلك إلى أن دخلوا مع الناس فيما اصطلح عليه الناس، ومازالوا فيه بالأمم وآمالهم إلى اليوم<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد وجيه الصاوي: مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

قد كان يمكن للحراك الذي تشهده الآن وقبل الآن، أن يمسك بالحبل الصحيح وهو تسلّم ذلك المفتاح البسيط المليء بالثقة والود والسياحة والأمان، بيد أن هذا الخيط تطمسه أو تحاصره الحملات الضارية على الإسلام والمسلمين، ولواعج الشعور بالهوان الدنيوى والتطلع إلى استعادة العزة والمنزلة والمكانة والثروة، وهذه اللواعج ومضاعفاتها وما يقترن بها ويصاحبها من تغول أقوياء اليوم وجنوح شطحاتهم وتهجمهم الوحشى المغلوط - يصرف بعض المسلمين عن الجوهر الحقيقى لهذا المفتاح الذى كان بشارة العالم الجديد الذى هزبه الإسلام أركان العالم الذى كان سائداً وقت نزوله<sup>(١)</sup>.

### الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى:

#### مفهوم الثقافة:

كلمة ثقافة يكثر استعمالها في مجال الحديث والتأليف والندوات والمؤتمرات، فيقولون: فلان مثقف، وفلان غير مثقف، والأمة الإسلامية أمة مثقفة، ....، وهكذا.

ومع شيوع كلمة (الثقافة)، نرى اختلافاً في تحديد مفهومها، ككثير من المصطلحات المعاصرة. فهناك من يقصر الثقافة على الجانب المعرفى في الحياة أى ما يتعلق بالعلم والفكر والأدب والفن، وهناك من يوسع مفهوم الثقافة، بحيث لا تقتصر على المفهوم المعرفى، بل تشمل الجانب الوجدانى الذى يعنى به الفن، والجانب الروحى الذى يعنى به الدين، والجانب العملى أو السلوكى الذى يعنى به الأديان السماوية والأخلاق، بل تشمل الجانب المادى أيضاً من الحياة<sup>(٢)</sup>.

فالثقافة: أفكار ومعارف وإدراكات ممزوجة بقيم وعادات، ووجدانيات تعبر عنها أخلاق وعبادات، وآداب وسلوكيات، كما تعبر عنها علوم وآداب وفنون متنوعات، وماديات ومعنويات.

قال صاحبى: هل تعتبر ذلك الأكل ثقافة مثلاً؟

قلت: إذا كان المقصود بالأكل البلع والمضغ والهضم، فليس من الثقافة فى شىء، فهذا أمر يشترك فيه الإنسان والحيوان، بل الحيوان متفوق فيه على الإنسان، فالحيوان قطعاً أوسع بطناً، وأكثر أكلاً من الإنسان. ولكن إذا قيل للإنسان: «سم الله، وكل يمينك،

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٦.

(٢) يوسف القرضاوى: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٤.

وكل مما يليك<sup>(١)</sup>، وكل من الحلال والطيب، ولا تأكل الخبيث مما حرم الله عليك، وكل في إثناء مباح لا في ذهب ولا فضة، وكل عندما تجوع، وإذا أكلت فلا تسرف، فما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه. وإذا فرغت من طعامك فقل: « الحمد لله » إلى آخر هذه الآداب، فهنا يصبح الأكل ثقافة. وليس مجرد عملية حيوانية.

وهكذا المشى، فالإنسان يمشى، والحيوان يمشى، كما قال القرآن الكريم: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ تَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [النور]. سواء فسرت بمعنى اجعل لمشيك مقصداً وهدفاً، أو اعتدل في مشيك، لا تسرع إسراع الحمقى، ولا تبطئ إبطاء المتهاوتين، وكن من عباد الرحمن، ﴿ وَلَا تَمْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَتَّبِعَ الْأَجْبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء]. فهنا يغدو المشى ثقافة كل هذه الأمور المادية تنقلب الى ثقافة إذا ارتبطت بقيمة وهدف نبيل، ومعايير وآداب ترقى بها، وتنقلها من المعنى الحيواني الى الأفق الإنساني صحيح أن الجانب المعرفي والفكري له أولوية على غيره، على أساس أن الفكر يسبق الحركة وأن العلم يسبق العمل، وأن حركة الإنسان لا تستقيم إلا إذا إستقام فكره وتصوره، ومن هنا يقدم الدين الإيثار والعلم على العمل<sup>(٢)</sup>.

ولذا كان أول ما نزل من القرآن: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، لأن القراءة مفتاح العلم، وهو مقدم ثم نزل بعدها: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ﴾ ﴿ قَدْ فَأَنْذِرُ ﴾ ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ ﴾ ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْبِرُ ﴾ ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ [المدثر]، فأمر بالعمل بعد العلم.

ونحن في استعمالنا العادي نبرز الجانب المعرفي ونقدمه، فإذا رأينا إنساناً قارئاً متنوع القراءة، ملماً بما يجري في الحياة، غير جاهل بالتراث نقول عنه: إنسان مثقف. ولا نصف بهذا من كان بارعاً في تخصصه، متفوقاً فيه، ولكنه إذا خرج من دائرته، وجدته أشبه بالعامي. ولذا قيل: المتخصص من يعرف كل شيء عن شيء. والمثقف من يعرف شيئاً عن كل

(١) أخرجه البخاري: ك "الأطعمة"، باب [النسبية على الطعام والأكل باليمين]، حديث رقم (٥٠٦١)، ٥/٢٠٥٦.

(٢) يوسف القرصاوي: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق، ص ١٥.

وقديماً كانوا يقولون عن هذا الأديب والعالم، فالعالم هو المتخصص، والأديب هو المثقف بلغة عصرنا، ويتساءل كثيرون عن الفرق بين الثقافة والحضارة، وقد حاول البعض أن يفرق بين الكلمتين بأن الثقافة لا تشمل الجانب المادى، وقد رأينا أنها تشملها بالمعنى الذى تم شرحه، وفرق بعضهم بأن الثقافة تتعلق بالجانب الفردى، والحضارة تتعلق بالجانب الاجتماعى، وهذا تفریق غير سليم، فالثقافة كما تتصل بالفرد تتصل بالمجتمع والأمة، ولهذا يقول الكتاب والباحثون: الثقافة العربية، الثقافة السكسونية، الثقافة الأمريكية، الثقافة اليابانية... فنجد النسبة هنا إلى أمم وليس إلى أفراد، وقد تنتسب الثقافة إلى أديان كما يقال: الثقافة الإسلامية، الثقافة المسيحية، الثقافة اليهودية، الثقافة البوذية، وهذه ضد الأديان، ولكنها كما سمي بعضهم هذه الأيديولوجيات الوضعية «أديان بغير وحى». والواقع أنه لا يكاد يوجد فرق فى الاستعمال المعاصر بين الثقافة والحضارة، فكل واحدة من الكلمتين توضع مكان الأخرى<sup>(٢)</sup>.

### ثقافتنا بين الثقافات:

لا شك أن المقصود بثقافتنا فى هذا المجال هى الثقافة العربية الإسلامية، وهى الثقافة المعبرة عن هوية الأمة وفلسفتها ونظرتها الكلية إلى الوجود، وإلى المعرفة، وإلى القيم، وبعبارة أخرى: إلى الله والإنسان، الكون والحياة، الغاية والرسالة.

والأمم بلا ريب تختلف فى ثقافتها اختلافاً كبيراً، فمنها ما تتجه ثقافتها إلى الروح ومنها ما تتجه ثقافتها إلى العقل، ومنها ما تتجه إلى المادة، ومنها ما يجمع بينها جميعاً، ومن الثقافات ما يتصل بالأرض، ومنها ما يتصل بالسماء، ومنها ما يتصل بالأرض والسماء معاً.

لكن الكثير يسألون عن هوية هذه الثقافة: أهى عربية أم إسلامية؟ وكأن إثبات أحدهم ينفى الآخر بالضرورة، وهذا غير صحيح، فالعربية هى لسان الإسلام، لسان قرآنه وسنة نبيه، ولسان عبادته، ولسان التفاهم المشترك بين علمائه، ورسول الإسلام عربى، وصحابته الذين تربوا فى حجره عرب ومنطلق الإسلام من أرض العرب، ومساجد الإسلام

(١) يوسف القرضاوى: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧.

الكبرى، التي لا تشد الرحال إلا إليها كلها في أرض العرب، والإسلام هو الذى أخرج العرب من الظلمات إلى النور وهو الذى علمهم من جهالة، وجمعهم من فرقة، وأورثهم ممالك الأكاسرة والقيصرة، وجعلهم بنعمته إخواناً وجعل لهم ذكراً فى العالمين<sup>(١)</sup>، والإسلام هو الذى جعل العرب (أمة) بعد أن كانوا قبائل متناحرة وجعل لهذه الأمة رسالة وحدت أهدافهم وأمالهم، وجندت طاقاتهم فى سبيلها: إنها ثقافة عربية إسلامية معاً، ولا نقول هذا مجاملة للإسلام، بل هى الحقيقة الناصعة التى دلت عليها كل الدلائل والبراهين، ومن ثم نقول: ثقافة عربية إسلامية، وحضارة عربية إسلامية، وبذلك ننصف الحقيقة وننصف الإسلام.

ثقافة ترحب بالحوار:

إن ثقافتنا الأصيلة ترحب بالحوار مع الآخر «العرب»، بل تدعو إليه ولا تخاف منه، ومن يقرأ القرآن يجده حافلاً بالحوار على مستويات شتى.

حوار بين رسل الله - عليهم السلام - وأقوامهم، كما نجد ذلك فى حوار إبراهيم مع قومه فى سورة الأنعام، وسورة الأنبياء، وسورة الشعراء، وحواره لأبيه فى سورة مريم. وحوار شعيب لقومه فى سورة هود، وسورة الأعراف، والشعراء. وحوار موسى مع فرعون فى سورة الشعراء على وجه الخصوص. وحوار الله تبارك وتعالى مع خلقه فى القرآن الكريم. وحوار الله تبارك وتعالى مع ملائكته عندما أراد الله سبحانه خلق آدم واستخلافه فى الأرض: ﴿ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ قَالَ يَتَفَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة].

وقد اعتبر القرآن الحوار وسيلة من وسائل الدعوة مع المخالفين، وقد أمرنا الله بالدعوة فى قوله تعالى: ﴿ آدُعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِنَا هِيَ

(١) يوسف القرضاوى: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق، ص ١٩-٢١.

أَحْسَنُ ﴿ [النحل: ١٢٥]، فالموعظة تكون حسنة لأنها مع الموافق، وأما الجدل، فلم يكتف إلا بأن يكون بالتى هى أحسن لأنه مع المخالف، ومعنى ذلك أنه إذا كانت هناك طريقتان للجدال وللحوار إحداهما حسنة والأخرى أحسن منها وأجود، فالمسلم مطالب بالأجود التى هى أحسن. وقد وجدنا كثيرًا من ثقات علماء المسلمين ودعاتهم يرحبون بالحوار الإسلامى المسيحى فى العصر الحاضر، إذا عينت أهدافه، وبينت موضوعاته، وحددت ضوابطه، وقد حضر العلامة الشيخ الدكتور/ مصطفى السباعى - رحمه الله - فى الخمسينيات مؤتمراً للحوار فى لبنان، كما شارك وفد من رابطة العالم الإسلامى برئاسة الشيخ محمد على الحركان - رحمه الله - فى السبعينيات من القرن العشرين فى حوار مع الفاتيكان وكرادته، وكان الحوار عن (حقوق الإنسان بين الإسلام والمسيحية)، وكانت نتائج هذا الحوار إيجابية للإسلام والمسلمين. كما نظمت الجماهيرية الليبية عن طريق جمعية الدعوة الإسلامية بها حوارًا آخر مع الكنيسة حول أربعة موضوعات بين الإسلام والمسيحية، وقد صدر عن هذا اللقاء توصيات جيدة<sup>(١)</sup>.

وفى حوار آخر فى مدينة (كولن) بألمانيا نظمته الدكتور عبد الجواد فلا توري - رحمه الله - وكان يضم وفدًا من مصر منهم: الشيخ محمد الغزالى - رحمه الله - والدكتور محمود حمدى زقزوق، وحدث تقارب وتفاهم وكان مفيدًا للطرفين<sup>(٢)</sup>. والبعض من علماء الشريعة ممن يتوجس خيفة أو يتوقع شرًا، من وراء هذه اللقاءات، ويرى أنها نوع من الغزو لنا، ومحاولة التأثير فىنا، وكأننا نحن الطرف الضعيف الذى يخاف على نفسه، ولم لا يكون العكس؟.

إن أهمية الحوار مع الآخر ضرورة من وجهتين:

الأولى: أن الحوار معه يتيح لنا أن نعرفه بما نملك من فكر واتجاهات، ومن ثم فممن يدرى: ألا يحتتمل أن يقتنع بما نقول فنكسب واحدًا، ويخسر الآخر هذا الواحد.

الثانية: أن الحوار مع الآخر ينبهنا فى كثير من الأحيان إلى جوانب ربما لم نتبها إليها، وتاريخ الفكر الإسلامى زاخر بالأمثلة على هذا، وكيف أدى الحوار مع الآخر إلى أن يستعين فلاسفة المسلمين بالزاد الفلسفى الذى وجدوه فى تراث اليونان ليطرقوا مجالات لم تكن مطروقة ويصطنعوا أساليب لم تكن معروفة<sup>(٣)</sup>. ثم إننا مأمورون بالجدال بالتى هى

(١) يوسف القرصاوى: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) سعيد إسماعيل على: التربية الإسلامية وتحديات القرن الحادى والعشرين، ص ٦٢، مجلة المسلم المعاصر، العدد (٨٥)،

أحسن، كما أمرنا بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في آية واحدة، فلماذا نعمل بجزء من الآية، ونعطل الجزء الآخر؟

وإن هذا الحوار كان أيضًا إحدى العمليات التاريخية الرئيسية الكبرى التي مكنت الثقافة العربية الإسلامية - في جانب - من احتواء وتطوير شعوب وأمم كاملة وموارثها الثقافية، ومكنت تلك الشعوب والأمم - في الجانب الآخر - من المشاركة - عبر الجسور التي أقامتها ومدتها الثقافة العربية الإسلامية نفسها - في تغذية الحضارة الإنسانية العامة ودفع مسيرتها الطويلة والصعبة والمتشعبة في دروبها ومسالكها العديدة<sup>(١)</sup>.

وقد يعتقد البعض أن الدعوة إلى دعم الحوار الثقافي بين الثقافة العربية الإسلامية وبين الثقافات الأخرى هي مناورة بهدف تحقيق مكاسب وقتية أو تجنب خسائر متوقعة، غير أن هذا التصور يبطله الحوار أو تبادل الأخذ والعطاء عمليًا، منذ بداية العصور الحديثة، والتزمت بها كل الدول التي تشكلت وتطورت في إطار الحضارة أو الثقافة الإسلامية العربية، وهي السياسات التي ساهمت بقوة في تكوين مجتمعاتنا المعاصرة وفي كل مجالات تطورها الثقافي الحديث: من الفكر المجرد إلى روح المبادرة والإبداع والابتكار والتغيير وتفجير القوى الديناميكية المتحركة، وإشعال ثورة التجديد، ومن العلم النظري إلى التطبيق إلى التعليم والإعلام، إلى المناخ الإبداعي الذي يقوم بدور عظيم في تكوين الإنسان المبدع الذي يعيش عالم العولمة، فيحسن العيش في هذا العالم، ويتعامل تعاملًا رشيدًا مع معطيات العولمة ومشكلاتها، ويقصد بمناخ الإبداعية: الوسط المباشر والتأثيرات الاجتماعية والنفسية والثقافية والتربوية مما يسهل التفكير والأفعال الإبداعية، كما يسهل ويساعد على تكوين القدرات المبدعة لدى الأفراد<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الحقائق الفعلية الملموسة، حقائق التاريخ والتفاعل الثقافي، هي المنطلق الحقيقي - في تصورنا - لدراسة واستكشاف أساليب دعم (الحوار) الواعي والإيجابي في عصر مختلف، مليء بالوعود والإمكانات ولكنه مليء أيضًا بالأخطار والنذر - بالفرص والمخاطر - فالإمكانات التي يطلقها هذا العصر - العولمة - تفتح آفاقًا جديدًا للوجود

السنة الحادية والعشرون، أغسطس - أكتوبر، ١٩٩٧، ص ٦٢.

(١) محمد رجب الصاري: مرجع سابق، ص ١١٦.

(٢) حسن عبدالعال: منهجية التعامل مع واقع الأمة وواقع البشرية اليوم في ضوء اتجاهات العولمة، ص ٣٧-٣٨، مركز الدراسات المعرفية، جامعة الأزهر، ٢٠٠٠.

والحياة، ولكنها تشكل في الوقت نفسه تحديات ضخمة فكرية وتقنية، اقتصادية ومجتمعية، سياسية وأمنية<sup>(١)</sup>، فعلى صعيد الوعود والإمكانات لا يستطيع أحد أن يتجاهل حقائق هذا العصر التي يؤكد الفكر الحديث أنها تتحول - إن لم تكن قد تحولت بالفعل - إلى القواعد المادية التي يشيد عليها الآن مستقبل البشرية، المنجزات التي تتلخص في: الثورات الثلاث:

الثورة العلمية الأولى: في القرن السابع عشر، وبرزت أساسًا في أوروبا، وبالتحديد في بريطانيا، وساهمت هذه الثورة في بروز المفاهيم والقناعات والمناهج والأفكار الحياتية والسلوكية الحديثة، التي أخذت تنتشر من أوروبا إلى سائر المعمورة<sup>(٢)</sup>.

الثورة العلمية الثانية: قد برزت في القرن العشرين، وخصوصًا بعد الحرب العالمية الثانية، وتركزت هذه الثورة على أساس تطور الحاسب الآلي، وقامت هذه الثورة على تقنيات الفضاء، وكذلك على تطويع الذرة مدنيا وعسكريا، وسمى هذا العصر بعصر الذرة.

أما اليوم فالعالم يعيش بدايات ثورة علمية وتكنولوجية ثالثة: وتتركز التطورات العالمية الباهرة الجديدة أساسًا في الولايات المتحدة الأمريكية والتي جعلت منها الدولة العظمى الوحيدة في العالم<sup>(٣)</sup>.

ومن معالم الثورة الثالثة: التطور في وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات والتي وضعت البشرية اليوم أمام آفاق معرفية لا نهائية. وهذه الثورة سهلت وعجلت حركة الأفراد ورأس المال والسلع والمعلومات والخدمات، وهي التي جعلت المسافات تنقلص والزمان والمكان ينكمش، وهي التي ساهمت في إنتقال المفاهيم والقناعات والمغريات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات<sup>(٤)</sup>.

وماهى السمة الرئيسية لهذه الثورة العلمية التكنولوجية الثالثة؟

الثورات العلمية الصناعية السابقة اعتمدت على الفحم، على البخار، على النفط، أما

(١) على حرب: حديث النهايات، فترحات العولمة ومأزق الهوية، ص٩، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

(٢) عبدالحق عبد الله: العولمة، جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، ص٦٣-٦٤، عالم الفكر، "العولمة ظاهرة العصر"،

تصدر عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد (٢٨)، العدد (٢)، أكتوبر/ ديسمبر، ١٩٩٩.

(٣) عبد الحاقق عبد الله: مرجع سابق ص ٦٤.

(٤) عبد الحاقق عبد الله: مرجع سابق ص ٦٠.

هذه الثورة الثالثة فتعتمد على العقل الإنساني، وعلى الخبرة العلمية التي تمتلكها الشعوب، وأعظم ثروة سوف تتنافس بها الشعوب مع بعضها البعض ليست الموارد الطبيعية، إنما القدرات العقلية<sup>(١)</sup>.

ومن خلال ما سبق فنحن في العالم الإسلامي بحاجة ماسة إلى توفير البيئة المواتية لصناعة وقبول العقل الناقد، وهذا يمدنا إلى مجال البحث العلمي وربطه بحركة المجتمع التنموية.

وعلى صعيد الأخطار والنذر - المخاطر - فهذه المخاطر تتفاوت بين المخاطر السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فهي عديدة ومتضاربة، ربما كان على رأسها تزايد طموحات شعوب ومجتمعات ودول العالم الثالث إلى التنمية، وبالتالي الحصول على أنصبة عادلة من ثمار ثرواتها الخاصة، وعلى أنصبة عادلة من الثروات المادية الثلاثة التي جرى تمويلها أساساً من خلال الاستغلال (الاستعمار) الطويل لثروات تلك الشعوب النامية الطامحة إلى النمو المتكافئ، أى إعادة توزيع ثمار وأرباح التطور المادي الذي أنجزته الإنسانية في القرنين الأخيرين على أسس عادلة.

في مواجهة هذه الموجة، لجأت قوى الاستثمار القديم (والجديد معها) إلى أساليب مختلفة لمقاومة إعادة توزيع الثروة الإنسانية المشتركة - الثروة المادية والمعرفية معاً - بشكل عادل، بل لجأت إلى محاولات عديدة لإعادة الأوضاع بأشكال جديدة في بقاع عديدة من العالم إلى ما كانت عليه قبل عملية تصفية الاستعمار، وكان أن جاء جزء من رد الفعل إزاء تلك المقاومة في عالمنا الثالث - الذي يشكل شعوب ومجتمعات الحضارة الثقافة العربية الإسلامية أكثر من ثلثيه - في شكل ارتداد داخلي إلى "الذات" التي رسمت صورتها على أنها ذات قومية (دينية / وطنية / ...) جامدة، ثابتة، مطلقة، ثم في شكل رفض مطلق للآخر - بكل تجلياته الإيجابية والسلبية، ورفض مطلق لأي نوع من الحوار معه، أو للحوار مع الذات القومية المتطورة، التي كانت قد تطورت فعلاً - اجتماعياً وثقافياً - في كل مجتمعاتنا دون استثناء تقريباً<sup>(٢)</sup>.

(١) على الدين هلال: دائرة حوار حول مصر وتحديات المستقبل، المجلة المصرية للتنمية والتخطيط، معهد التخطيط القومي بالقاهرة، المجلد الخامس، العدد الثاني، ديسمبر ١٩٩٧، ص ٢٧٢.

(٢) محمد وجيه الصاري: مرجع سابق، ص ١١٨-١١٩.

ثم كان أن زادت قوى "الاستثمار القديم (والجديد) من توظيفها لثرواتها المادية والتكنولوجية - المعرفية - لشن هجوم مضاد، ليس فقط ضد من رفضوا الحوار، وإنما ضد كل من مجموع المطالبين بنظام عالمي عادل (جديد): اقتصادي وسياسي وثقافي ومعرفي وإعلامي، وكان تبرير هذا الهجوم: إن رافضي الحوار إنما يرفضون جميع القيم التي تمثلها ثقافات الآخرين، وبخاصة قيم الثقافة الغربية.. وهذا الهجوم المضاد وتبريره لنفسه هو ما تواجهه، أو ما ينبغي أن تواجهه دعوتنا المتجددة الآن لحوار إيجابي وواع بين الثقافة الإسلامية وبين الثقافات الأخرى، وهو ما تفرض كل منطلقات الدعوة إليه، أن يكون حوارًا مع الذات من ناحية، ومع الآخرين من ناحية أخرى.

إن عوامل كثيرة تراكمت وتفاعلت طوال القرون الخمسة عشر الأخيرة، فأنتجت الوضع الحالي لموازنين ومؤشرات التفاعل بين الثقافات التي تنتمي إلى الحضارة الإسلامية - بعد أن استوعبت ثقافات بشعوبها من جيرانها القدامى وجيرانها الحاليين، بما يجعل مبدأ الحوار الواعي والإيجابي بينهم جميعًا ضرورة حيوية لمستقبل ازدهار شعوب ومجتمعات كل منهم وأمنها، ومن أكثر تلك العوامل تأثيرًا في تلك الموازين والمؤشرات كان هو الصعود السريع الكبير لأوروبا في مجموعتها منذ القرن السابع عشر، واكتساحها لكل أرجاء العالم القديم بما فيه العالم الإسلامي بالسلاح أو بالأنظمة الإدارية أو المعرفية أو بالاقتصاد أو بكل ذلك معًا<sup>(١)</sup>.

### العلاقة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية:

تسير الثقافة في حياة الأمة مع حركة الحياة فيها؛ لأنها الصورة الحقيقية لشخصية هذه الأمة، أو تلك، فإذا تعرضت حركة الحياة إلى تغيرات داخلية أو خارجية انعكس ذلك بصورة واضحة على ملامح ثقافتها، سلبًا أو إيجابًا، وفق قوة هذه الثقافة وأصالتها، ومدى تأصلها في نفوس أبنائها، ومدى قوة التغيرات الطارئة عليها، فإذا كانت الثقافة قوية أصيلة استطاعت أن تستوعب هذا التغير داخليًا كان، أم خارجيًا، وتصهره في بوتقه مكوناتها، بحيث تستفيد منه من خلال عملية انتقاء واعية، وإن كانت ضعيفة أو مهزوزة انصهرت هي في خضم تلك المتغيرات والمستجدات، وذابت ملامحها لتتحول هي إلى ثقافة تابعة، تسير في طريقها إلى الاضمحلال والزوال حتى تنتهي، وهذا ما يؤكد خطر الثقافة في

(١) المرجع السابق نفسه: ص ١٢٠-١٢١.

حياة الأمم قديماً وحديثاً<sup>(١)</sup>.

والعلاقة بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية ليست حديثة العهد، بل تمتد إلى عصور بعيدة في التاريخ، وبالتحديد إلى عهد ازدهار الثقافة الإسلامية، حين كانت هذه الثقافة - الإسلامية - متقدمة لركب الحضارة الإنسانية، حاملة بيدها مشعل الهداية والنهضة، والتقدم بمناحيه جميعاً: العلمي، الأخلاقي، الديني، السياسي، الاجتماعي. في تلك العصور تمكنت الثقافة الإسلامية بمقومتها الثابتة والصالحة لكل زمان ومكان أن تستوعب الحضارات / الثقافات المعاصرة لها، وفرضت لغتها العربية محل كثير من اللغات المعاصرة لها - كاللغة الآرامية، اللغة القبطية، وفي نفس الوقت قام المسلمون في ذات الوقت بدراسة الثقافات الأخرى - غير الإسلامية - للانتفاع بما فيها من معان عن الأشياء، والحياة، لا لاعتناق ما فيها من أفكار. ومن ثم فقد كان دورهم يقوم على الانتفاع والتأثير، لا التأثير والانصهار في تلك الثقافات المحيطة.

في هذا العصر الذي بلغت فيه الثقافة الإسلامية أوج ازدهارها - عصرها الذهبي - كان الغرب الأوربي يرزخ تحت وطأة قرونه المظلمة، التي قضت فيها الكنيسة على كيان الإنسان الروحي والمادي ووقفت في وجه العلم، وحاربت العلماء. فكان أن توجهت أنظار الغرب الأوربي إلى بلاد الإسلام وبالأخص إلى الأندلس، وبدأت أوروبا تستمد بذور نهضتها من علماء المسلمين.

وتحت وطأة الانبهار والتأثر بالثقافة الإسلامية، قامت دعوات الإصلاح الديني، والإهتمام بالعلم، والوقوف في وجه الإمبراطوريات الأوربية، لتبدأ بودار النهضة الأوربية التي أرادت أن تكون لها شخصيتها الخاصة المستقلة عن الدين<sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت الذي بدأت فيه الثقافة الغربية تشق طريقها لتولى ركب الحضارة، كانت الثقافة الإسلامية تمر بفترات ضعف، وتراجع، وتعثر يحول بينها وبين الاستمرار في قيادة العالم، فقد غرق المسلمون في بحر الصراع، والفتنة، والانكباب على الدنيا بعد أن خالط فكرهم الدخن - الانحراف عن مصادر التلقى الأصلية<sup>(٣)</sup>. فالغرب الأوربي الذي نهل

(١) سارة بنت عبد الحسن: الثقافة الإسلامية ومدى تأثيرها في الفكر المعاصر، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الشارقة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨، ص٢٩.

(٢) نادبة شريف العمري: أضواء على الثقافة الإسلامية، ص٤٤-٤٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١.

(٣) الدخن: يقصد به هنا: ما أشار اليه الرسول (ﷺ) في حديث حذيفة حين قال له: «قوم يهدون بنير هديى ويستنون بنير سنى»، أخرجه البخارى ومسلم.

من معين الحضارة الإسلامية تعلم كيف يقرأ أو يستفيد منها - الثقافة الإسلامية - في نشر ثقافته والتسلل إلى بلاد الإسلام، حيث تزامنت مرحلة الانهيار الداخلية في البلاد الإسلامية مع مرحلة الغزو الخارجي لها عن طريق الحروب الصليبية القديمة والمعاصرة، وعادة الأمم المغلوبة الافتتان بالغالب، والأفكار كالماء تنساب من أعلى إلى أسفل، وبالتالي فهي تنتقل من الغرب إلى الشرق الإسلامي بسهولة ويسر عن طريق قنوات مختلفة، ووسائط متنوعة، مباشرة وغير مباشرة. ومن الوسائط المتنوعة ثلاثة: التعليم الذي أفرغ من بعده الديني، والثقافة بدعوة وحدة الثقافة العالمية وإنسانيتها، والإعلام. وتتولى هذه القوى الثلاث عملية التوجيه غير المباشر في إحلال الثقافة الغربية بديلاً عن الثقافة الإسلامية، متفادياً بذلك التصادم مع كثير من العقبات النفسية والعملية المختلفة.

الثقافة الغربية المعاصرة تتضمن أفكاراً مناقضة للفكر الإسلامي: كالديمقراطية التي تجعل الأمة هي مصدر التشريع، وسن القوانين، وهذا مناقض للإسلام، أو الدعوة للاشتركية. أو الدعوة إلى العلمانية - فصل الدين عن الدولة - بدعوى أن الدين غير السياسة والحكم، وأن الدين مسألة شخصية، وأن هذه الأفكار وجدت لها صدى في نفوس كثير من المسلمين ومنفذاً إلى عقولهم بفعل تلك الوسائط.

وهناك الآلاف من مراكز البحوث والدراسات المتخصصة بشئون العالم الإسلامي بالغرب، تقوم بتتبع ورصد كل ما يجري فيه، ثم دراسته وتحليله مقارنة مع أصوله التراثية، ومنابعه العقدية، ثم مناقشة ذلك مع صانعي القرار في البلاد الغربية، لتوضع على أساسه الخطط، والسياسات، وتحديد وسائل التنفيذ لإعادة التشكيل الثقافي وفق النمط الغربي<sup>(١)</sup>. وفي مقابل هذه الدراسات والتحليلات، والخطط الغربية، نجد نخبة من المفكرين والعلماء والمثقفين في العالم الإسلامي تقف أمام مد الثقافة الغربية أحد أربعة مواقف هي:

١- السلبيون: يرفضون الثقافة الغربية بما أنتجت كلة، ويدعون إلى عدم الأخذ منها بشيء. وهذا موقف لا يتناسب مع الأصول الإسلامية التي تدعو إلى الاستفادة من كل شيء - لا يتعارض مع أصول الإسلام - لخدمة الدين. قال الرسول ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»<sup>(٢)</sup>.

(١) عمر عبيد حسنة: مقالة في الدعوة والإعلام الإسلامي (التقديم، ص ٢٧)، كتاب الأمة، ط ١٠، قطر، ١٤١١ هـ.  
(٢) أخرجه الترمذي: ك (العلم)، ب [ما جاء في فضل الفقه على العبادة]، ٥١/٥ رقم (٢٦٨٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢- التفريريون: هم الذين يقبلون على نمط الحياة الغربية جملة وتفصيلاً، فكراً ومنهجاً، وأسلوب حياة. وهذا توجه مستسلم للغرب مقلد له.

٣- التوفيقيون: هم الذين يقومون بالتوفيق بين الثقافتين - الإسلامية والغربية - من خلال الدعوة إلى تقريب المبادئ بينهما، وتطوير الإسلام ليتناسب مع معطيات الثقافة الغربية.

٤- الصحوة الإسلامية: هو اتجاه يدعو إلى احتفاظ المسلمين بإسلامهم وفق القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، مع الدعوة إلى وحدة الجماعة المسلمة، والإفادة من معطيات الثقافة الغربية، والتحرز من الأخذ من فكر الثقافة الغربية نفسها، وروحها الملحدة<sup>(١)</sup>.

وهذا الاتجاه الأخير هو الذي يحاول الوقوف في وجه تحديات الثقافة الغربية، وإنقاذ الفرد والأمة من الغرق في محيطها الجارف، لكن ضعف إمكاناته، وقلة خبرته، تضعف من فعاليته.

### علاقة الإسلام بالغرب « الآخر »:

بقي علينا أن نبين: ما موقعنا - نحن المسلمين - من الغرب ؟

وما علاقتنا به ؟ أي يمكن أن تكون علاقة تعارف وتفاهم أم لا بد أن تكون علاقة صراع وتصادم ؟

إن الإسلام رسالة عالمية، فلا فرق بين غرب وشرق، فهو جزء من مملكة الله الواسعة، كما قال تعالى: ﴿ وَبِاللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]. والغربيون هم جزء من العالمين الذين أرسل الله رسوله محمد ﷺ إليهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء].

إن علاقة الإسلام بالآخر هي علاقة نظمها الإسلام ورعاها، وكان القرآن الكريم في قمة الوضوح والإقناع حين بين هذه الحقيقة في صلتنا بالآخر " غير المسلمين " وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكَمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ

(١) عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٩هـ - /١٩٧٩م، ص١٤٤.

تَبَرُّوهُمْ وَتَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠٣﴾ [المتحنة]، وفي العديد من توجيهات الرسول ﷺ كانت الرعاية الفائقة التي لا حدود لها، ولم تكن فقط قاصرة في وقت دون وقت، ولا مكان دون مكان، بل حتى في الحروب، يأمرنا ديننا الإسلامي ألا نهدم معابدهم، وألا نحرق زراعتهم، وألا نجهز على كبار السن أو المرأة أو الصغار الذين لم يجاربوا.

آداب إسلامية راقية، ما عرفت البشرية أسمى منها، بل حتى المشرك الذي لا يدين بدين لو طلب الأمان واستجار وجب على المسلمين أن يلبوا نداءه، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة]. فأى تعاليم ترقى إلى علاقة الإسلام بالآخر - غير المسلمين - كهذه التعاليم.

إن الدين الإسلامي الذي بلغ به محمد ﷺ خاتم النبيين عن طريق الوحي الإلهي، والذي يكون القرآن الكريم مصدره الأول، كون له دولة المدينة والمجتمع المستقل بعد الهجرة النبوية، وتميز دولة المدينة هذه عن دولة المدينة باليونان القديم في القرون الأولى بما تملكه من نظام دستوري وتعهدات تشريعية، وقد تكفلت العلاقات بين المسلمين واليهود، وبين المسلمين ومن لم يسلموا بتعهدات تشريعية ثم توضيح مبادئها بنص يسمى بـ "صحيفة المدينة"، وإن هذه الوثيقة التي تحتوى على المبادئ الأساسية التي يقتضيتها المفهوم التشريعي المعاصر وحقوق الإنسان، أصبحت محل دراسات في السنوات الأخيرة من عدة وجوه، إن هذه الوثيقة بينت دعائم المجتمع الجديد وأقر فيها الرسول ﷺ اليهود على دينهم وأموالهم وعاهدتهم على الحماية والنصرة، وقد تضمنت الصحيفة المبادئ التالية:<sup>(١)</sup>

- وحدة الأمة من غير تفرقة بين أبنائها.
- تساوى أبناء الأمة جميعاً في الحقوق والكرامة، يجير أديانهم على أعلاهم.
- تكاتف الأمة كلها دون ظلم وإثم وعدوان وفساد كائنا من كان الظالم والمفسد.

(١) مصطفى السباعي: اشتراكية الإسلام، ص ٣١٢-٣١٤، مكتبة الشعب، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

- اشترك الأمة في تقرير العلاقات مع أعدائها، لا يسالم مؤمن دون مؤمن.
  - تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقومها.
  - مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام، ووجوب الامتناع عن نصرتهم.
  - حماية من أراد العيش مع المسلمين سالماً متعاوناً، والامتناع عن ظلمهم والبنى عليهم.
  - لغير المسلمين دينهم وأمواهم لا يجبرون على دين المسلمين ولا تؤخذ منهم أموالهم.
  - على غير المسلمين أن يسهموا في نفقات الدولة كما يسهم المسلمون.
  - على غير المسلمين - في الدولة الإسلامية - أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر على كيان الدولة ضد كل عدوان، وعليهم أن يشتركوا في نفقات القتال ما داموا محاربين.
  - على الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه.
  - على المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم.
  - إذا كانت مصلحة الأمة في الصلح وجب على جميع المسلمين وغير المسلمين أن يتقبلوا الصلح.
  - لا يؤخذ إنسان بذنب غيره ولا يجنى جان إلا على نفسه.
  - حرية الانتقال في داخل الدولة وإلى خارجها مصونة بحماية الدولة، ولا حماية لأثم ولا ظالم.
  - المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.
- وإن التعاون في الإسلام مبدأ عام في كل الجماعات الإنسانية، كما قرره القرآن، من الحث على التعاون المطلق على البر، ومنع التعاون على الإثم والعدوان، وهذا ما أكده القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوْا شَعِيْرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِيْنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وإن التعاون قوام الأسرة، وقوام الأمة، وقد جاءت النصوص الدينية الإسلامية لتعميم

التعاون في داخل الإقليم الواحد وفي نطاق الإنسانية، ووردت العديد من الأحاديث النبوية التي تحت المسلمين على التعاون مع بعضهم البعض، ومع كل من يعيش معهم في المدينة.

والرسول ﷺ يعلن أن الله يمد بالقوة كل من يعاون أخاه الإنسان في أي إقليم وفي أي موطن، فيقول ﷺ: «الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه»<sup>(١)</sup>، ولم يحدد ذلك الأخ بل عممه، فيعم الأخوة الإنسانية ولا يقتصر على الأخوة الدينية أو الإقليمية.

والأمان في الإسلام مقرون بالوفاء، والوفاء بالعهد والوعد بالمواثيق. عندما جاء الرسول ﷺ إلى المدينة عقد مع اليهود حلفاً أساسه التعاون على البر، وحماية الفضيلة، ومنع الأذى، وأكد ذلك بالمواثيق، لكن اليهود نقضوا حلف التعاون ودبروا الأمر مع المشركين ضد الرسول ﷺ، وكان أساس التعاون «التعايش السلمي» - والقرآن أكد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء]. وجعله من صفات المؤمنين فقال عنهم: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم]، ووعد الله المؤمنين بالوعد بأنهم يدخلون الجنة، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَرْتُؤْنَ أَلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون].

والإسلام لا يقبل تحت أي ذريعة نقض العهد - اليهود - والمواثيق.

وإن تواجد مدينتي مكة والمدينة في وسط طرق التجارة كان يساعد على انتقال التراث الحضاري بجانب إمكانات أخرى بسبب موقعها الجغرافي، وكانت البضائع التي تأتي من الصين والهند عن طريق اليمن وعمان تنتقل إلى الشمال ومنطقة الشرق الأوسط بقوافل عربية، ثم يتم إرسالها إلى أوروبا. وكان يسمى هذا الطريق بطريق البهارات حسب المصطلح التجاري. وقد استعمل هذا الطريق التجاري إلى أن تم فتح باب المواصلات بين جنوب إفريقيا وآسيا في مطلع القرن الحديث، كما ازدهر في بعض العهود خليج البصرة

(١) أخرجه مسلم: ك (الذكر والدعاء والتوبة)، ب [فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر]، حديث رقم (٢٦٩٩)،

وطريق البحر الأحمر في هذا المجال.

وإن نظرة فاحصة سريعة إلى الخريطة « الجغرافية / الحضارية » للعالم الإسلامى فيما بين الأطراف الجنوبية الشرقية للمحيط الهندى وبين الطرف الشرقى - الأوسط للمحيط الأطلنطى، صعودًا إلى امتداد الوسط الآسيوى الشاسع ومرورًا بالأناضول التركى وأطراف البلقان الأوربى، إن مثل هذه النظرة سوف تحدد بوضوح «جيراننا» الحضاريين، وإذا شئنا تحديد أكثرهم وضوحًا - وأهمية من الناحية الحضارية - فإنهم بالطبع من الشرق إلى الغرب: الصين إلى الشرق، والهند إلى الجنوب، وأوربا - فى الشمال - المنقسمة إلى الجزأين: السلافى، واللاتينوجرمانى، وفى العصور الوسطى كان يتوسط هذين الجزأين ثالث غربى هو: البيزنطى<sup>(١)</sup>.

ويعلمنا التاريخ « العالمى » أنه عندما شرع العرب - بعد توحيد قواهم تحت راية الإسلام - فى بناء العالم / الحضارة « الإسلامية - فى أواسط القرن السابع الميلادى - لم يكن القسم الشرقى - السلافى من أوربا - فى الشمال - قد دخل بعد ساحة التفاعل الحضارى الثقافى - أخذًا لا عطاء، وسوف يظل كذلك طوال القرون العشرة التالية، بينما كان القسم الغربى والجنوبى (اللاتينوجرمانى والبيزنطى) قد شرع يدخل عصوره الوسطى: مرحلة اضمحلاله الثقافى الحضارى النسبى وكُمونه الطويل، جاهلاً، أو غير واع بميراثه الإغريقى الرومانى وأصول هذا الميراث فى حضارات / ثقافات «جنوب البحر المتوسط (مصر وفينيقيا وبابل بشكل خاص).»<sup>(٢)</sup>.

هكذا كانت أكثر تفاعلات « الحضارة / الثقافة » العربية والإسلامية البازغة الجديدة حيوية ونشاطا مع جيرانها المباشرين إلى الشرق، ومع مضيفيها الذين امتزجت بهم تمامًا فى الشمال والغرب « حضارات / ثقافات » فارس والهند والصين من ناحية، والحضارة / الثقافة الهيلينيسية / المسيحية التى كانت أجزاء من الممالك اليونانية / المقدونية، ثم من الإمبراطورية الرومانية فى مناطق الهلال الخصيب (سوريا الكبرى) ومصر وشمال إفريقيا، وهى الثقافة التى حملت فى بنيتها وفى تشكيلاتها العديدة موارث وملامح قوية من الثقافات / الحضارات المحلية أو الأصلية الأقدم المصرية والبابلية والفينيقية<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد وجيه الصاوى: مرجع سابق، ص ١١٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١١٩-١٢٠.

(٣) سامى خشبة: دعم الحوار بين الثقافة العربية والإسلامية والثقافات الأخرى، موقع على الإنترنت author.asp.

إن رسالة الإسلام ومضمونه العالميين ساعدت على انتشار الإسلام بين مختلف الأجناس والأعراف بشكل واسع ونشط كما تقتضيه طبيعة هذا الدين. وظهر بين قادة المسلمين أمثال: بلال الحبشي، وصهيب الرومي وسلمان الفارسي من غير العرب، كما نرى الرسول ﷺ يبعث رسائل إلى قادة الدول المجاورة بعد صلح الحديبية يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان بين هؤلاء وريث دولة الرومان الشرقية الإمبراطورية البيزنطية هرقل.

ويمكن أن نعتبر هذه الرسالة التي بعثها الرسول ﷺ إلى الإمبراطور البيزنطي حاكم شبه جزيرة البلقان والأناضول أول وثيقة رسمية في العلاقة بين الإسلام والغرب، والعلاقة بين الإسلام والغرب علاقة معقدة، فهي من جانب علاقة يجب أن تُدعم وتقوى لمصلحة الغرب والإسلام، فالغرب يحتاج إلى الشرق لا في موارد الطاقة وحدها، وإنما في أمور كثيرة يعلمها خبراء الإستراتيجيات في العالم، وهذه الحاجة ترجع إلى عصور مضت منذ احتياج الغرب إلى موارد الطاقة الغذائية: كالقفلل والبهار وسائر منتجات الشرق، وكانت خطوط التجارة العالمية التي تمر عبر الشرق تمثل الشرايين في قلب العالم الإسلامي ذاهبة آية تحمل التجارة من الشرق إلى الغرب وبالعكس، في تواصل مستمر وضروري لا فكاك منه في أي مرحلة من مراحل التاريخ<sup>(١)</sup>.

وكلما تقدمت وسائل الاتصال وتطورت الإنسانية ازدادت الحاجة إلى هذا التواصل والتبادل، وللإسلام حاجة إلى هذا التواصل أيضًا، بنفس الدرجة والأسباب، لا تقل عددًا أو أهمية عن الأسباب التي تربط الغرب بالشرق (الإسلام).

لكن لسوء الحظ، فإن عقدة غربية تقف في سير العلاقات بين الغرب والإسلام منذ العصور الوسطى: هي الحروب الصليبية التي تركت رواسبها وآثارها في نفسية الكثيرين على الجانبين، وخلفت وراءها كما هائلًا من التعصب عبر قرون عديدة. ولعل أسوأ ما خلفته هذه الحروب: ظهور طبقة من المفكرين المتعصبين الأوربيين الذين صبغوا التاريخ والعلاقات بين الإسلام والغرب بهذه السخائم النفسية، التي لوئت هذه العلاقات وأقامت حاجزًا كبيرًا بين الغرب والإسلام - العالم الإسلامي - حتى أن مؤرخًا كبيرًا هو «أرنولد توينبي» يفسر العلاقات والحركات التاريخية الكبرى تفسيرًا نفسيًا - تبعثه هذه

(١) عبد المعطي محمد بيومي: العلاقة بين الإسلام والغرب، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وعنوانه: «حقيقة الإسلام في عالم متغير»، ص ٨٤٩، القاهرة، المنعقد في الفترة [١٨-١١ ربيع الأول ١٤٢٢هـ / ٢٠-٢٣ مايو ٢٠٠٢]، ٢٠٠٣.

السخائم فيقول: « إن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كان دافعه الانتقام من العالم الإسلامي، وأن الأمير البرتغالي « هنري الملاح » الذي كان العامل الفعال في هذه الكشوف كانت رغبته الدافعة هي الانتقام من احتلال المسلمين للأندلس - كما يقول - واحتلالهم للقسطنطينية « إستانبول »<sup>(١)</sup>.

كما يفسر بعض المؤرخين الحروب الاستعمارية في العصر الحديث واحتلال الشرق العربي الإسلامي بنفس التفسير، فيذكرون الكلمة الشهيرة التي قالها القائد الإنجليزي الذي احتل مدينة القدس (الآن ... انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين). إلى هذا الحد تكمن الحروب الصليبية في نفسية كثير من المتعصبين الغربيين الذين مازالوا يعيشون في الماضي ويفسرون به الحاضر، وربما يشكلون به هذا الحاضر للأسف الشديد.

واستطاع الأوربيون من خلال فترة الحروب الصليبية التطلع على كبريات المدن الإسلامية عن كثب، لم تكن هذه المدن موجودة في أوروبا الإقطاعية في ذلك الوقت (سوى المدن الساحلية من إيطاليا) وكانت أوروبا في ذلك الوقت مشتهرة بقصورها الواسعة المحاطة بالأسوار الضخمة.

وأن النشاط الاستعماري الذي قام به الأوربيون للمرة الثانية تجاه العالم الإسلامي بدأت في السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، حيث تم احتلال: [الجزائر وتونس والمغرب وسوريا ولبنان من قبل الفرنسيين، وليبيا من قبل الإيطاليين، ومصر، وفلسطين، والحجاز والعراق من قبل الإنجليز]، وكانت القارة الهندية في هذه الحقبة تحت سيطرة الإنجليز أيضًا ... وهكذا.

فتاريخ العهود الاستعمارية الحديثة تتصف بقيام القوات العسكرية بفرض ثقافتها، وقيام أهل المناطق المستعمرة بتقليد الشعوب الحاكمة والخضوع لتأثير ثقافتهم. وسمي هذا التأثير الثقافي بالاستعمار الثقافي، وهكذا ظهرت فئات وجماعات محلية تقوم بتقليد وتقبل القيم الغربية كما هي، كما هو الحال في جميع الأقطار على العموم، وإن الازدواجية والتعارض في تغيير الثقافة بالقوة والاضطهاد تعرقل الوحدة القومية والثقافية للشعوب، وهذا وضع مؤلم موجود في كل الدول الأقل نموًا.

لكن يبدو أن تطور التاريخ وتنوع العلاقات وتشابك المصالح عفا على هذه النظرية

(١) عبد المعطى محمد بيومي: مرجع سابق، ص ٨٠.

الرجعية في الغالب الأعم، ولم يبق لهؤلاء الرجعيين المتعصبين من سند يعتمدون عليه غير مرارة الذكري، ولا تستطيع الذكريات المريرة أن تقيم سلاماً، ولا أن تصنع حاضرًا سعيدًا بين الإسلام والغرب، وإذا لم يتحرك العقلاء لكبح جماح هؤلاء المتعصبين فإنهم يدمرون العالم ولن يستطيعوا حماية أنفسهم هم ولا منجزاتهم؛ لأن التعصب يورث التعصب، والدم يولد الدم.

فعلهاء المسلمين وقادتهم مسؤولون بالدرجة الأولى في هذا المجال، وبالإمكان الاستفادة من وسائل العصر العلمية في هذا المجال. وعلى الغرب - علمائه وقادته - أن يقوم بوقف نشاطاته الثقافية الاستعمارية التي كان يقوم بها في العالم الإسلامي - الحروب الصليبية والاستعمارية الحديثة - إذا كان يرغب في تطوير علاقات حسنة مع العالم الإسلامي لحوار بناء أساسه المساواة والتعارف والتعاون وبناء علاقات رسمية متبادلة.

مشكلة الغرب والإسلام:

المشكلة تكمن في أن الغربيين أو - إذا أردنا الدقة - في أنفس الكثيرين منهم، وموقفهم من الإسلام، فقد توارثوا عن الإسلام صورة سائئة المنظر، دميمة الوجه، لا تمت إلى الإسلام من قريب أو بعيد، وهذه الصورة ورثوها منذ الحروب الصليبية، حين قدمت جيوشهم من أوروبا في حملات متواصلة، مكنسحة دول المنطقة الممزقة، مقيمة لها ممالك وإمارات، وقد انتصرت في أول الأمر، ثم لم تلبث أن هزمت في مواقع حطين، وفتح بيت المقدس، وموقعة المنصورة حيث أسر لويس التاسع.

وهذه الحروب كانت لها آثارها النفسية والعقلية، وكانت من أسباب نهضة الغرب بما اقتبسه من حضارة الشرق الإسلامية، ولكن رجال الدين صوروا الإسلام والمسلمين لعوام الناس صورة كريمة منفردة، لا تمت إلى حقيقة الإسلام بصله، بيد أنها رسخت في الذهنية الغربية والنفسية الغربية وتوارثها الناس جيلاً بعد جيل.

ولذلك ترى الغربي حين يتحدث عن الأديان الأخرى غير الإسلام وعن الأمم الأخرى غير أمة الإسلام، يتحلى بكثير من الموضوعية والإنصاف، فإذا تحدث عن الإسلام وعن حضارته وأمته، وقف موقفاً آخر، فيه كثير من التحيز والميل مع الهوى، وكان على من يريد الإنصاف منهم أن يتجرد من العقد الخبيثة الموروثة، ويتقمص شخصية أخرى تغلب الموضوع على الذات، والحق على العصبية، وهذا ما اعترف به غوستاف

لويون، ومونتجومري وات وغيرهما<sup>(١)</sup>.

### لماذا نفتح على الغرب؟

نحن - المسلمون - نريد أن نفتح على الغرب، ونجد في ديننا ما يحثنا على ذلك، ولا نحب أن نغلق على أنفسنا أو نعادي غيرنا، والذي يدعونا إلى ذلك جملة أمور منها ما يلي:

أولها: أننا أصحاب رسالة عالمية جاءت لكل الناس في كل أنحاء العالم، وصحيح أن القرآن نزل بلغة عربية، وأن رسول الإسلام عربي، وأن الإسلام نشأ في الشرق، وهذا لا يعني أن الإسلام لجنس خاص أو لجهة معينة، بل الإسلام لأهل الأرض جميعاً، ولقد نشأت المسيحية في الشرق وانتشرت في أنحاء العالم.

ثانيها: أن أسباب الانفتاح والتفاهم واللقاء والتقارب كثيرة، فالتعارف لا التناز هو واجب شعوب الأرض جميعاً، ونحن لسنا مع من يقول من الأدباء الأوروبيين: الشرق شرق، والغرب غرب، ولن يلتقيا، فاللقاء ممكن، بل واجب إذا صحت النيات.

ثالثها: أن العالم تقارب جدا وخصوصا بعد ثورة الاتصالات والثورة العلمية الثالثة " الثورة الإلكترونية " حتى أصبح العالم قرية صغيرة، وكل هذا يحتم على أصحاب الأديان السماوية أن يتحاوروا وعلى أصحاب الحضارات أن يتفاهموا.

### ماذا نطلب من الغرب؟

١ - أن يتخلى عن الأحقاد القديمة، فنحن أبناء اليوم لا بقايا أمس.

٢ - أن يتخلى عن الأطماع الجديدة والرغبة في السيطرة على بلادنا، فعصر الاستعمار قد ولى.

٣ - أن يتخلى عن نظرة الاستعلاء التي كانت عند الرومان الذين يرون كل من عداهم برابرة.

٤ - أن يتجرد من مخاوفه منا، فلسنا وحوشا ولا أغوالا، ولا سيما ونحن - منذ قرون - ضحايا ظلم الغرب.

٥ - لا يتدخل في شؤوننا بغرض فلسفته علينا بالقوة أو بالحيلة، فنحن أحرار في

(١) يوسف القرضاوي: المسلمون والعولمة، مرجع سابق، ص ١٣٩.

ديارنا.

٦ - لا داعي للغرب أن يتخذ منا (عدوا) يعبى مشاعر أمه ضدنا، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي، وأن يسمينا (الخطر الأخضر) بعد زوال (الخطر الأحمر) والتقارب مع (الخطر الأصفر).

### تصحيح صورة الإسلام بالغرب:

إن كل من يدرس الإسلام ورسالاته الخالدة يجده متفقاً مع الفطرة البشرية السليمة، قائماً على منهج رباني صحيح، يشمل كل جوانب الحياة في بساطة ويسر، ومن هنا كانت نظرة المسلمين إلى الكون قائمة على التعاون والتكافل، وليس على الصراع والنزاع.

إن الصورة التي صنعها الغرب للإسلام والمسلمين انطلاقاً من هزيمته في الحروب الصليبية، تقوم على أن الإسلام دين البطش والقوة والسيوف، وأنه دين الرجال دون النساء، وأنه يجارب العلم والمدنية والتقدم، وجاء الاستشراق والاستعمار ليعمق الهوة بين الحضارتين - الإسلامية والغربية - وليزيد الصورة تشويهاً واضطراباً في أعين الغرب.

وهذه الصورة المشوهة هي التي جعلتهم يحاولون رسم خرائط جديدة للعالم الإسلامي، خرائط جغرافية - من خلال التخطيط لتقسيم بعض الدول كالعراق والسودان ..، وخرائط ثقافية وفكرية - من خلال التدخل السافر في البناء التعليمي والتربوي الذي يمس التربية الدينية كما يحدث الآن في باكستان وغيرها من الدول، وخرائط سياسية لإحداث قلاقل هنا وهناك ودعم نظم معينة ومحاولة الإحاطة بنظم أخرى .. (أفغانستان والعراق). هذه الصورة المشوهة هي الذريعة التي يتخذها صناع القرار في الغرب لإبادة وتشريد وقتل المئات من المسلمين في العديد من دول العالم وأبرزها أفغانستان، الشيشان، فلسطين، كشمير، العراق، ... إلخ. وهذه الصورة المشوهة هي التي جعلت بعض المتطرفين في الغرب يؤكدون أن العدو البديل عن الشيوعية - بعد سقوطها - هو الإسلام، وأنه يجب إعادة حرب صليبية جديدة ضد الإسلام<sup>(١)</sup>.

هذه الصورة المشوهة عن الإسلام هي التي جعلت حقوق المسلمين في أغلب بقاع العالم تنتهك تحت سمع وبصر العالم، وتحت سمع وبصر كل الهيئات الإقليمية والدولية المعنية بحقوق الإنسان. ولعله من المضحك المبكى أن دول الغرب ترسل بعثات للحفاظ

(١) نبيل السالوطي: تصحيح صورة الإسلام في الغرب ص ٩٩، من سلسلة فكر المواجهة.

على الحياة الفطرية التي يقصد بها الحيوانات المعرضة للانقراض في أفغانستان في الوقت الذي يباد ويشرد آلاف الناس هناك تحت وسمع وبصر العالم كله، وبأييد من القوى العالمية العظمى تحقيقاً لمصالح معينة بعيداً عن العدالة والقيم وحقوق الإنسان<sup>(١)</sup>.

ووسيلتنا لتصحيح صورة الإسلام في الغرب، أن نوضح الحقائق والمفاهيم الخاطئة، ونكشف حجب الحقد والضغينة التي شجعتها الكنيسة والاستعمار، والاستشراق؛ لتكون العلاقة بيننا وبينهم علاقة صراع وتدافع وعداء، كما ذهب إلى ذلك، فوكوياما، وهيستنجتون، وتوماس فريدمان صاحب نظرية «انتصار الليبرالية».

ومعروف أن هذه الصورة المشوهة للإسلام في الغرب يقف وراءها مراكز ودراسات بحوث، وأفكار ونظريات مزيفة ومصنوعة بيد باحثين وبتوجيه من صناعات السياسة في الغرب - المؤسسات السياسية والاستخبارية الغربية - ولعل الأمثلة على هذا كثيرة جداً مثل نظرية التحديث، ونهاية التاريخ، وصراع الحضارات، وانتصار الليبرالية... إلخ. وليس من الغريب أن مطلقى هذه النظريات - وهم رستو، فوكوياما، هيستنجتون، توماس فريدمان - هؤلاء أطلقوا هذه النظريات بعد تكليفهم من الأجهزة الرسمية في أمريكا مثل الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية...، وقد كانوا جنوداً في هذه الأجهزة.

وهذا معناه أن الأجهزة الرسمية لصناعة القرار في الغرب قد حددت علاقتها بالإسلام على أنها علاقة صراع، أي تم تحديد شكل العلاقة من طرف واحد، ولم يكن الغرب بهذا التحديد، بل تحرك الغرب في مجال التطبيق العملي بشكل عسكري بضرب دول ومجتمعات إسلامية دون تفاهم مع أحد بوصفها مصدر الشرور، على سبيل المثال ما حدث في أفغانستان، والعراق، وفلسطين، ولبنان.

والسؤال الآن: كيف نغير هذه الصورة المشوهة عن الإسلام؟ وكيف نقنع رجل الشارع في الغرب؟ وكيف نقنع صانع القرار بأن الإسلام هو دين السلام والتقدم والتنمية والانفتاح على كل الحضارات؟ كيف نوصل لهم بأن الإسلام يحرم الاعتداء ويحرم الإرهاب وترويع الأمنين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين؟

والإجابة عن هذه التساؤلات من خلال مجموعة آليات تنبثق عن سياسات مدروسة

بشكل علمي، أهمها ما يلي:

١- دور الإعلام في تبصير الناس بحقيقة الإسلام: حيث يمكن الوصول إلى رجل الشارع الغربي من خلال وسائل الإعلام والاتصال وترجمة حقائق ومفاهيم الإسلام الصحيح وطرحها من خلال الإعلام بالاستعانة بالمسلمين في الدول الغربية، والاستعانة بالمتصفيين من الدارسين الغربيين، وتوجيه النشاط الإسلامي بشكل صحيح في الدول الغربية بالاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة في نشر الدعوة ورد الشبهات - مثل المرأة كم مهمل ولا قيمة لها وليس لها أى دور اجتماعي، المرأة المسلمة تترث نصف الرجل، شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل، تعدد الزوجات للرجل، الإسلام انتشر بالسيف، الادعاء (الشبهة) بأن المسلمين كانوا شعوبًا لا تحترم الحضارات القديمة ومن ذلك إحراق مكتبة الإسكندرية، الادعاء بأن الإسلام يفرض على المرأة الحجاب الذى يمنعها من التعليم والعمل، الادعاء بتدنى مكانة المرأة في الإسلام وهضم حقوقها، الادعاء بأن الإسلام يبيح للمسلم أن يتزوج من غير المسلمة، ولا يبيح للمسلمة أن تتزوج من غير المسلم، الزعم بأن الإسلام ضد الديمقراطية وحقوق الإنسان - وتوضيح المفاهيم، واجب مقدس ينبغى أن تتضافر الجهود للقيام به، بتسخير سائر وسائل الإعلام (الإعلان) لذلك، لما لها من أهمية في عالم اليوم، ومد الجسور بيننا وبين المؤسسات الإعلامية في الغرب من أجل الوصول إلى هذا الهدف الكبير وهو تصحيح صورة الإسلام، ونذكر مثلاً وقع أخيراً في أمريكا؛ إذ قام الإعلام الأمريكى بتغطية جيدة لموسم الحج في عام ١٩٩٧م عبر برنامج migmitve محطة Aben وكان البرنامج دعوة كريمة للإسلام، وإظهاراً لمنسك من أعظم مناسكه، حقق آثاراً طيبة في الشعب الأمريكى كما اعترفت بذلك وسائل الإعلام الأمريكية نفسها<sup>(١)</sup>.

٢- التواصل مع نظريات منصفة أقرت بفشل البناء الثقافى الغربى خاصة تلك التى أكدت إفلاس الحضارة الغربية من الغربيين أنفسهم: مثل نظرية تدهور الغرب (اشبنجلر)، ونظرية دورة الثقافات (سوروكين)، ونظرية دورة الحضارة (توينبى)، وأيضاً التواصل مع علماء وباحثين معاصرين ومؤثرين وموضوعيين، ويدركون أنه لا سبيل لإنقاذ حضارة الغرب إلا باستعادة وتطبيق قيم الإسلام، مثل المفكر الفرنسى جارودى،

(١) جريدة عكاظ السعودية، العدد ١١٢١٦، لسنة ٢٩، بتاريخ ٢/٥/١٩٩٧، ص ٨.

وقد كان هذا أحد أسباب إشهار إسلامه، وهناك (روبرت كرين) مستشار الرئيس الأمريكي السابق نيكسون، وكان نيكسون يعتمد على (روبرت كرين) في قراراته وفكره، وقد أخرج نيكسون دراسة بعنوان: «اغتنم الفرصة» ودفع بها إلى مستشاره (روبرت كرين) الذي عكف على فحصها ودراستها بعناية، وتوصل بعدها إلى عظمة الدين الإسلامي، وأنه هو الحل للمشكلات المزمته داخل المجتمع الغربي، وقد انتهى (كرين) بعد هذه الدراسة إلى اعتناق الإسلام<sup>(١)</sup>.

وهناك المثات من الباحثين الغربيين الموضوعيين الذين يعترفون بتفوق الحضارة الإسلامية، منهم من اعتنق الإسلام، ومنهم من لم يعتنق الإسلام، فهناك الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا الذي يرعى مركزًا من أهم وأبرز مراكز البحث في الغرب عمومًا وبريطانيا خصوصًا، وهو (مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية) التابع لجامعة أكسفورد، والأمير تشارلز يدرك جيدًا حقائق جيدة حول الحضارة الإسلامية في: وسطيتها، اعتدالها، ساحتها، دعمها للمنهج العلمي، التفوق العلمي، الانفتاح الثقافي، حقوق الإنسان، الديمقراطية وإلى جانب هذا المركز هناك العديد من المراكز العلمية المنصفة التي تحتاج إلى التعاون معها من أجل تصحيح صورة الإسلام في الغرب، مثل: مركز التفاهم المسيحي الإسلامي بجامعة جورج تاون، ويجب التعاون أيضًا بين المسؤولين والمؤسسات في العالم الإسلامي، وبين هذه المراكز في نشر ما تسفر عنه هذه المراكز من نتائج وعرضها بعد تبسيطها في أجهزة الإعلام الغربي<sup>(٢)</sup>.

٣- تشجيع المسلمين في الغرب، سواء من كانت لهم أصول عربية أو غربية بأن يقتدوا باللوبي الصهيوني أو اليهودي وما يستخدمونه من آليات سياسية واجتماعية واقتصادية، حتى يلعبوا دورًا مهمًا في التأثير على الرأي العام الأمريكي - الغربي - وصناع السياسات والقرارات.

٤- تفعيل الأجهزة الإسلامية والعربية، مثل أجهزة جامعة الدول العربية، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والندوات العلمية لشباب العالم الإسلامي، ورابطة الجامعات الإسلامية، ومشيخة الأزهر الشريف، وذلك بهدف نشر حقائق

(١) نبيل السالمون: مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ١٠٤-١٠٥.

ومفاهيم الإسلام في سماحته واعتداله والنشر باللغات الأجنبية.

٥- حُسن توظيف شبكات الاتصال الحديثة في عرض حقائق ومفاهيم الإسلام في سماحته واعتداله ويسره، وفي مقدمتها شبكة الإنترنت بشرط التنسيق بين كل المواقع العربية والإسلامية، وحسب دراسة للمجالس القومية المتخصصة في مصر، فإن عدد المواقع عشرة دول عربية تصل إلى (٢٧٩٧) موقعًا في حين أن لإسرائيل وحدها (٢٩٥٠٣) موقعًا. وعدد مواقع الثقافة الإسلامية (٢٢٨) موقعًا، بينما عدد المواقع الثقافية اليهودية (٧٠٢) موقعًا.

والمشكلة أن هذه المواقع الإسلامية لا تسهم في الإجابة عن التساؤلات والالتزامات والمغالطات التي يطرحها الغربيون عمدًا لتشويه صورة الإسلام والمسلمين... وبالرغم من وجود بعض المواقع المهمة والمتقدمة مثل: موقع "الإسلام والعقائد" الذي تشرف عليه إحدى شركات البترول، وموقع لوزارة التربية والتعليم في مصر، وموقع لجمعية الرعاية المتكاملة... إلا أن الأمر يتطلب أن يمارس الأمر بشكل حرفي ومهني متقدم من خلال خبراء، ومن خلال سياسات وخطط مدروسة وهادفة، والمتابعة المستمرة لما يتم في مختلف أنحاء العالم بشأن الإسلام والمسلمين<sup>(١)</sup>.

٦- التوسع في إنشاء وإرسال القنوات الفضائية المتخصصة والموجهة، مثل القناة المصرية الموجهة للولايات المتحدة الأمريكية، وقناة النيل التي تبث بالعبرية والموجهة لإسرائيل، وأن تحذو الدول الإسلامية مثل مصر على أن يتم التنسيق بين هذه القنوات.

#### ٧- لغة الخطاب الديني المعاصر:

إنها قضية بالغة الأهمية، وعلى فهمها الفهم الصحيح يتوقف مستقبل العلاقة داخل المجتمع الإسلامى الواحد، ومستقبل العلاقات بين المسلمين وغيرهم - الغرب - من شعوب الأرض، حيث إن هناك شعورًا بغيبية الخطاب الديني على الساحة الدولية، وافتقاره إلى مقومات العصر والوضوح والقدرة على إقناع الآخر. وإن قضية العلاقة بالآخر تقع في نطاقين:

الأول: النطاق الداخلى، أى خلاف المسلمين مع بعضهم البعض.

(١) نبيل السهالوطى: مرجع سابق، ص ١٠٦-١٠٧.

الثانى: علاقة المسلمين مع غيرهم ممن لا يدينون بالإسلام.

فالأمر الأول: أن الفرد المسلم ليس وصيا على الفرد المسلم الآخر، وإن اختلفت الأفكار والمواقف العلمية بين أفراد المسلمين، وتحت مظلة الدين الواحد أمر وارد تماماً، وإن وحدة الأمة لا تحول دون وقوع الخلاف بين أفرادها بل يظل المسلمون - رغم خلافهم - كما قال ﷺ كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فعن رسول الله ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه »<sup>(١)</sup>، وإذا استفحل الخلاف ووصل إلى حد الاقتتال المنهى عنه فإن الفريقين يظلان أخوة ومؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات]. ومن ثم فالمشتغلون بالخطاب الإسلامى عليهم أن يراجعوا أنفسهم وأن يتأملوا فى آيات القرآن وسنة النبى ﷺ ، ليعرفوا كيف أن الإسلام اعتبر التنوع والتعدد واختلاف الثقافات نعمة تستوجب شكرها بالتعارف ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات].

أما الخطاب مع غير المسلمين - الغرب - فقد علمنا القرآن الكريم أن نجادهم بالتي هى أحسن، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت].

كما وضح القرآن الكريم لنا أن العدل والبر معهم هو أقوم السبيلين، قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَكَ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المتحنة] ، وحين يوضح القرآن أمر اختلاف العقائد الدينية فى قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ، وهى قاعدة وضح القرآن مظهرها العملى فى قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَأَسْأَلُونَكَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُكَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبا] . وهناك آيات عديدة

(١) أخرجه البخارى: ك "المساجد"، ب "تشبيك الأصابع فى المسجد وغيره"، ط ٣، ج ١، حديث رقم (٤٦٦)، طبعة: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧، ص ١٨٢.

أخرى، يقول تعالى لنبية: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ  
النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يونس]. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً  
وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١١﴾﴾ [هود]. ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١١٢﴾ لَسْتَ  
عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿١١٣﴾﴾ [الغاشية].

ونذكر من سيرة الرسول ﷺ وآدابه في الدعوة إلى الله، من أن بعض أصحاب الرسول  
ﷺ سألوه أن يدعو على المشركين فرفض قائلاً: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة»<sup>(١)</sup>.  
ولسنا اليوم في قتال دائم مع غير المسلمين، وإنما نحن وإياهم شركاء في مسيرة واحدة،  
نتبادل ثمرات الخبرة والتجربة، ونوظف تنوعنا في العقائد والثقافات لما ينفع البشرية  
جميعاً.

#### ٨- تحديث الخطاب الإسلامي:

التحديث يجب أن يشمل الشكل والآليات وأساليب التأثير، ويجب أن يركز الخطاب  
الديني على موقف الدين من متغيرات العصر ومن التعددية، والحوار، والشورى،  
والديمقراطية، والمرأة وحقوقها، وليت فقهاءنا وأهل الاجتهاد في العالم الإسلامي  
يقدمون للأمة صياغات جديدة تشرح العلاقات الجديدة بين المسلمين وغير المسلمين -  
الغرب - بما يستحق أن نسماه سياسة التعايش والاتصال بديلاً عن سياسة العزلة  
والانفصال. وتجديد الخطاب الإسلامي - الديني - الذي نعنيه هو كيفية نقل هذه الصورة  
الحضارية للإسلام إلى الآخر بأسلوب نريد أن يأخذ ساحة الحداثة والتجديد في الشكل  
والمضمون، من حيث التركيز على قضايا عديدة منها:

- أ- قيمة العقل في الإسلام.
- ب- مناهج البحث العلمي.
- ج- الإسلام وحقوق الإنسان.
- د- الحوار بين الحضارات أو التعددية الثقافية في الإسلام.
- هـ- الإسلام والسلام.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: ب "النهي عن لعن الدواب وغيرها"، كتاب: "البر والصلة"، حديث رقم (٢٥٩٩)،  
ص ٢٠٦، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

و- الوظيفة الاجتماعية للمال في الإسلام.

ز- الإسلام ينبذ الإرهاب.

٩- تفعيل ثقافة التقريب بين المذاهب الإسلامية: فثقافة التقريب هي الطريق الوحيد

نحو الوصول إلى روحية الإسلام.

وفي الفصل التالي نتناول دائرة الحوار ومجالاته وشروطه، وأهدافه، وآلياته، كما في الكتاب

والسنة النبوية الشريفة.